اتجاهات الأدب المقارن، نشأته و حداثته

دكتر مهدي ممتحن

عضو هيئت علمي دانشگاه آزاد اسلامي - واحد جيرفت

موجز المقال

من المعقول بأن نشاهد أنّ الأدب المقارن في العالم هُو التفاعل مع الفكر النقدي، و مجانباً الى اتجاهاتٍ خاصة. فقد استمد منه الأسس النظريه والتوجهات التطبيقيه. و كان هذا التفاعل مصدراً هاماً لما شهده الأدب المقارن مِن تطّورٍ و تجديد في صورةِ ظهور مدارس جديدة مقارنيه؛ والتي عرفت بالمدارس الفرنسيه والأمريكيه والأنكليزيه. فكانت المدرسة الأمريكيه ثمرةٌ من ثمار هذا الترابط بين الأدب المقارن والأدب النقدي الحديث. كما أدى ظهور نظريه التلقي الأدبي الى نشوء دراسات التلقي الأبداعي والنقدي في الأدب المقارن. و نحن نرى في الأدب نظرية التناص والتفاعل قد أحدثت اصداءً كبيرةً في الدراسات المقارنه. ولكن الأدب المقارن لم يتفاعل مع المذاهب النقديه بسرعةٍ فائقه. فلذلك وجب علينا ان نبحث حول هذه المدارس و فكرة التأثير والتأثر. و مراجعة خاصة في الأسس النظريه حول نشأة الأدب المقارن في العصر الحديث. و نتعهد إلى المساهمة في هذا الأمر.

الكلمات الأساسية: الأدب المقارن، التأثير والتأثر، النقد الأدبي.

الأدب‌المقارن، تعریفه و مفاهیمه

اذا اردناالتعرف علی‌الأدب‌المقارن و مفاهیمه و ارتباطه بالنقدالأدبی، وجب علینا أن نلتزم بتعریف شامل لهذاالأدب من جمیع‌الجهات، ثم‌البحث حوله فی جوانب شتی. فلذلک أمکنناالقول عن تعریف‌الأدب‌المقارن: بأنه نوع من‌الدراسات‌الأدبیه خلف حدود بلد معین، والذی یبحث عن دراسة‌العلاقات بین‌الأدب من جهة، والمعرفة والاعتقاد من جهة اخری، کمفاهیم‌الفنون من‌الرسم والنحت والعمارة والموسیقی والفلسفه والتاریخ والعلوم‌الأجتماعیه والسیاسیه، و باختصار نعرفه بأنه مقارنة ادب معین مع ادب آخر فی منطقه من‌العالم مع مناطق اخری علی اساس‌التعبیرالانسانی. (الخطیب، ۱۹۹۹م.: ۵۰)

و هناک تعبیر آخر لتعریفه: بانه‌العلم الذی یؤرخ للعلاقات‌الخارجیه بین‌الآداب، و یبحث عن دراسات‌التأثیر والتأثر بین تاریخ ادب قومی من تطورات خاصة و بین‌الآداب‌القومیة‌الآخری من تبادل و تفاعل. (هلال، ۱۹۸۷م.: ۱۸)

اماالتعبیر الأخیر هو مایصرح علی‌الدراسات‌الادبیه الذی یتمثل جوهره فی اجراء مقارنات بین آداب قومیه متنوعة والتی کتبت بلغات متعدده. (ندا، ۱۹۹۲م.: ۲۰)

متی و کیف استخدم‌الأدب‌المقارن

کلما ازدادت اهمیة‌الأدب‌المقارن فی‌العصرالحدیث، ازداد تشعب‌الآراء حول تحدید مفهومه. و کما نعلم بأن‌الأدب‌المقارن منذ نشاته فی‌القرن‌التاسع‌عشر، اهتم بمعالجة حقول مختلفه. فکل من علماءاللغة اخذ یسمیه باسم خاص. فمثلاً (بول قان تییغم) هو اول من اعترف بأن تسمیة هذاالأدب غیرواضح‌الدلالة، و یمکن ان تکون تعابیر اصح و اجمل لهذاالأدب. فمن‌الأسماءالمقترحة فی نظره، هی «الآداب‌الحدیثه‌المقارنه». و هو اسم رسمی لعدد من منابرالجامعات. و من جهة اخری قد اهتم‌الاخرون بتسمیة غیره و هو «تاریخ‌الأدب‌المقارن» الذی استعمله «جوزیف تکست» و «ج. ج. امبیر»، و یعود هذاالاسم الی سنة ۱۸۳۲م. (تییغم، ۱۹۳۱م.: ۱۸)

والاسم‌الاخیر الذی اقترح عوضاً عن‌الأدب‌المقارن هو «التاریخ‌الادبی‌المقارن،

والتاريخ‌المقارن للآداب او تاريخ‌الآداب‌المقارن او تاريخ‌المقارنه» (هلال، ۱۹۸۷م.: ۱۰)، و هناک اسامی اخری و هی «تاريخ‌العلاقات‌الأدبية‌الدوليه» الذی اقترحه «ماريوس فرانسوا غويار».

لكننا نری بأن رای «بول تييغم» كان هوالاكثر تشدداً فی‌المفهوم‌الفرنسی للأدب‌المقارن، لانه قد استعمل‌الأدب‌المقارن فی فرنسا كاصطلاح متعارف منذ قرن تقريباً. فمنذ عام ۱۸۲۷م استعمله «فيلمان» فی احدی محاضراته فی الجامعة‌الصربون. و منذ عام ۱۸۳۰م وضعت هذه‌التسميه فی عدة كتب. و قد استعمل ايضاً فی‌الحقبة‌الأخيرة اكثر و اكثر، حتی اصبح فی ايامنا هذه واضحٌ جداً، لأنه سهل فيه‌الاستعمال إلی حدّ ما بأن لم‌يكن هناک من داعٍ لاستبدال اسمٍ آخر به. (تييغم، ۱۹۳۱م.: ۱۹)

و قد بحث بعض‌الدراسين قضية هذاالمصطلح باللغة‌العربية، بأن اخذوا يتساءلون هل هو «مقارِن» بالكسر ام «مُقارَن» بالفتح. فی حين أن‌المصطلح‌الفرنسی قد استعمل بصورة اسم‌المفعول "La literature compareé". فأذن هو مقارن. اماالترجمة‌الانكليزيه كانت بصورة مقارنی و بصورة صفة "comparative".

و قد استوهم بعضهم ان اتخذوها اسم فاعل. (السيدالعراقی، ۱۹۸۵م.: ۲۳)

و كما تشيرالمعاجم الی انه اسم مفعول و بكلمة «مُقارَن» والفرنسيين استخدموا هذه‌اللغة بمفهوم "comparative" ثم عدلوا عنه الی "compareé". (ولک، ۱۹۸۷م.: ۳۳۱)

والاصح‌الشائع هو استعمال صيغة اسم‌المفعول بصورة «مُقارَن». ولكن‌العامل فی حقل‌الأدب‌المقارن هو باحث «مُقارِن» بالكسر مقابل كلمة "comparatiste" الفرنسيه التی استعملهاالانكليز بصورة "comparatiste" و منها اشتقت‌التسمية‌النوعيه لعمليه‌المقارنه "comparativisme" و يقابلها بالعربيه مصطلح‌المقارنه.

نشأة‌الأدب‌المقارن

ان نشأة‌الأدب‌المقارن يرجع فی‌الاصل الی‌القرن‌التاسع‌عشر حوالی سنة «۱۸۲۷م.»

حینما بدأالادیبالفرنسی أبل فیلمان[1] یلقی محاضراته فیالأدبالمقارن حولالأدبالفرنسی والانکلیزی، و یرجعالفضلالاکبر الیه بانوضعالاسس الاولیٰ لمنطق هذاالنوع منالدراسةالادبیة. و یحتمل ان قد ظهرت قبله لعدة محاولات و هی:

الف- الاتساعالادبی لدیالباحثین، لازدیادالصلاتالثقافیه بینالشعوبالاوروبیه، و بدء کل شعب بتعرف ادبالشعبالاخر عن طریقالترجمه. فمثلاً بدأت فرنسا تحسّ بتأثیرالادبالالمانی والانکلیزی کتأثیرالادبالیونانی والرومانی من قبل.

ب- ظهور اتجاهات قویه و عالمیه تتجاوز حدودالامم والنزعاتالخاصة. و من اثر ذلک ظهر ابداع ادبی خاص. فکما کان فولتیر و روسو و دیدرو و غوته من اوائلالمبشرین بالروحالعالمیه فی مجالالثقافه والأدب، فالدراساتالأدبیهالمقارنه اعتبرت افضل شکل لهذاالاتجاه.

ج- ظهور حرکةالرومنتی: أی الابداعی فیالأدب آنذاک، أدیٰ الی انتشار اتجاه علی مدیالقارةالأوروبیه. فمثلاً «شلی و بایرون و مدام دوستال» تبرموا بالحدودالقومیة والسیاسیة، مما ادی ذلک الی خلق تربة مناسبة للدراساتالأدبیةالمقارنه. فمن ذلک کله کانالارتباط والتلاطم عاملاً الی انتشارالمقارناتالعلمیه بینالامم و محاولةالعلماء، مما وصل الیهالتطورالعلمی خارج حدود بلدانهم، و ظهر من ذلک فروع جدیدة، کعلمالحیاةالمقارن و علمالتشریعالمقارن، و علماللغةالمقارن، و علمالمیثولوجیهالمقارن، و بالنهایة مما ادی الی ظهور علم ادبی مقارن. و کان فی مقدمة هؤلاء «ادجار کینیه»[2] الفرنسی والذی اقترح علی ایجاد ادب خاص کان یسمی ب «الادبالمقارن». (الخطیب، ۱۹۹۹م.: ۹۲)

من جهة اخری نریٰ بأن تأثیرالمکتشفاتالعلمیه فی حقل علمالاجتماع و علمالنفس والتاریخ و غیرها اکدّ بأنالانسان حصیلة عوامل مختلفة، و انه محکوم بهذهالعوامل؛ مما دفعالباحثینالادباء الیالانتاجالادبی، و ربطه بعواملالبیئه والتاریخالثقافی. و قد بالغ باحثوالقرنالتاسععشر فی هذهالناحیة، و اکثروا منالکلام حولالحتمیه والجبریه. و فی

---

1. Able Villemain
2. Edgar Quinet

مقدمة هؤلاء: «ارنست رينان» و «سانت بوف» و «هيبوليت تين». و كان نتيجه ذلك الاتجاه الى تدوين علم يحاول البحث فى اصول افكار و عوامل التكون الثقافى لدى الامم. و حينئذ اخذ الباحث النيوزلندى «بوسنت» الذى حمل اسم الأدب المقارن[1] عام «١٨٨١م.» يوضح هذا الاتجاه العام.

الغرب و اهميته فى نشأة الأدب المقارن

فرنسا: تعتبر فرنسا المهد الاول للأدب المقارن، لعوامل ظهرت فيها: اما لغويه او اجتماعيه او ثقافيه. و منها ان فرنسا اهتمت من البدايه بلغات اوروبا الجنوبيه، و كانت من اهم اللغات الرومانسيه. و يقال بان الفرنسيين كانوا اول من تنبه الى قيمة التراث المشترک بينهم و بين المناطق الاوروبيه الاخرى. و قد تبلور فيها اتجاه ادبى فكرى من شعراء الثريا (الخطيب، ١٩٧٥م.: ١٠١). و هذا مما أدىٰ الىٰ بناء الركن الاول للأدب المقارن. و من المؤرخين من يرجع نشأة الاهتمام بالأدب المقارن فى فرنسا الى القرن التاسع الميلادى او الثانى عشر او السابع عشر، ولكن الحقيقه هى ان نقول ان البذرة الاولى لهذه النشأة كانت فى كتاب عن آلمانيا لمدام دوستال[2] الذى نشرته عام ١٨١٠م. و قد ترک تأثيراً عميقاً فى الرأى الفرنسى. و هى تقول فى هذا الكتاب لابد للامم ان تتواصل فيما بينها، و تهدى احداها غيرها. و من الخير للامة ان ترحب بالافكار التى ترد اليها من الخارج. فان الامة المضياف فى هذا الخصوص هى التى تغنم اكبر الغنم. (الخطيب، ١٩٩٩م.: ٩٥)

و من ثم تولى جوزيف تكست[3] منبرليون، و كتب دراسات عميقه فى الأدب المقارن تحت عنوان «دراسات فى الأدب الاوروبى» سنة ١٨٩٨م.، و كان لها الاثر القوى فى نشأة الأدب المقارن. و اكتمل معنى الأدب المقارن على يد هذا البحاثه، و تمتاز دراسته بالافق الواسع والنظرة الشاملة فى بيان تطور الافكار و اختلافها على حسب تطور الشعوب و اختلاف احوالها الاجتماعية. (هلال، ١٩٥٢م.: ٧٥)

---

1. Comparative Literature
2. Destaal
3. Texte

و فی‌الوقت نفسه ظهرت اول فهرسته لمصادرالأدب‌المقارن علی ید (بـتز) الفـرنسی سنة ۱۹۰۰م. و قد اختار هذاالادیب‌الاستاذ «تکست» لیکتب مقدمة هذه‌الفهرسة حول مسائل و مشاکل هامة اوالفلکور اوالتراث‌الشعبی‌المقارن اوالدراسة‌المقارنه للآداب‌الحدیثه.

بریطانیا: ان‌الحماسة التی اظهرتها فـرنسا للأدب‌المـقارن، لم‌تـجدالصـدی‌الکـافی لدی‌الدول‌الاوروبیه‌الاخری. ففی بریطانیا ظلت‌الابحاث‌المـقارنیه مـحدوده جـداً، حـتی مابعدالحرب‌العالمیه‌الثانیه. و بعد نصف قرنٍ من هذه‌الصیحة نقلت مقالة ادبیة من قبل مؤلف انکلیزی معاصر و هو الاستاذ «ر. أ. سیس»[1] فی‌الملحق‌التربوی لجریدة‌التایمز فی عددهاالصادر ۱۹۶۵/۳/۲۶م. و اصبح یلاقی مقاومة قویة من قبل‌الجامعات‌البـریطانیه، ولکـنه بـرع بـین سـنتی [۱۹۴۲ـ۱۹۴۶م] و اهـتم به ادباء جامعات بـریطانیا، و سمیت‌الدراسات‌الملقیه من قبله بـ «دراسات‌الأدب‌المقارن»[2].

و فی‌الفترة‌الثانیه‌ای بـین سـنة [۱۹۴۸ـ۱۹۵۱م.] قـام طـلبة جـامعة ابـردین[3] فـی اسکـتلنده بـانشاء جـمعیه للأدب‌المـقارن. و مـن ثـم اعـقبتها جـامعة اسکس[4] والجامعات‌الاخری بانکلنزا کی یتخذلها استاذاً للأدب‌المقارن. ولکن لم‌تجد احداً. و فی نهایه خریف (۱۹۶۴م.) قررت جامعة اکسفورد تقدیم مقرر رسمی فی‌الأدب‌العام والمقارن، و منحت اول دکتوراه فی‌الأدب‌المقارن سنة ۱۹۶۸م. والذی اعتبر بمنزلة اعتراف رسمی بـنشر هـذاالأدب. و مـع ذلک مـازال‌الاهـتمام بـهذاالأدب اقـل مـنه بـدرجات من‌الولایات‌المتحدة‌الامریکیه التی استخدمت معظم‌الکفایات فی هذه‌المـجال. و فـی ذلک‌الوقت ظـهر کـتاب ذوصـفحات قـلیله فـی بـریطانیا للاسـتاذ «هـنری غـیفورد»[5] استاذالأدب‌الانکلیزی، مدرساً فی جامعة بریستول، و کانت صفحاته حوالی (۹۱ ص) فیه توضیح قلیل من‌المبادیء للأدب‌المـقارن (غـیفورد، ۱۹۶۹م.). ولکـن عـدوی‌الاهـتمام بالأدب‌المقارن و نظریته وصلت اخیراً الی بریطانیا، و ظهر کتاب (براقر) سنة ۱۹۷۳. تحت

---

1. R. A. Sayce
2. Comparative Literature Studies
3. Aberdeen
4. Essex
5. Henry Gifford

عنوان الدراسات الادبية المقارنه، و فيه بوادر من العناية النظريه لمفهوم الأدب المقارن عن مطبعة كامبريج. (براقر، ۱۹۷۳م.)

ثم اصدر المجلد الاول منه عام ۱۹۸۰م. من اعداد الاستاذ شافر تحت اسم النقد المقارن[1] (۱۹۶۸م.).

نيوزلنده: و في خلال سنة ۱۸۸۶م. ظهر في نيوزلنده كتاب حول الأدب المقارن، والذي الفه «هشتصين ماكولي بوسنت»[2] و يعتبر اول محاوله لمفهوم الأدب المقارن. و فيه بحث خاص، على ان الأدب المقارن فرع من فروع علم الاجتماع. و لقد اكد «فان تييغم» عام ۱۹۳۰م. بان هذا الكتاب هو اول كتاب موقوف على نظرية الأدب المقارن و انه لايزال متداولاً بين الادباء.

آلمانيا: كان الأدب المقارن يعتبر دائماً في آلمانيا فرعاً من تاريخ الأدب. فكان الاستاذ «كاسبر مورهوف»[3] اول من توجه الى اهمية الأدب المقارن في الدراسات الجامعيه. ولكن علماء الأدب الآلماني لم يتفرعوا لدراسة هذا الادب، الا بعد ان اشبعوا ادبهم الآلماني دراسة و بحثاً. و في سنة ۱۸۸۰م. اخذ الاستاذ شميدت[4] يلقي محاضرات في جامعة قينا، و من سياق محاضراته، انه كان يعتقد بان تاريخ الأدب يحب ان يكون جزءاً من تاريخ التطور الثقافي والروحي للامم التي تقارن بين آدابها، و بعد شميدت جاء «موريز كارييز»[5] و نشر عدة كتب حول الأدب المقارن، ولكن لم يدخل هذا الادب في نطاق الدراسات الجامعيه في آلمانيا الا بعد سنة ۱۸۸۷م.

و لقد نشر الاستاذ «ماكس كوخ»[6] اول عدد من مجلته باسم الأدب المقارن، والذي تحتوى على بحوث متفاوته، منها كان استعراض سريع للنقد الأدبي المقارن في آلمانيا، والبحث الاخر حول الترجمه والموضوعات الادبيه والعلاقات بين تاريخ الأدب والتاريخ السياسي و علم الفولكور الذي اصبح موضع احترام. و بدأ البحث حول

---

1. *Comparative Criticism*
2. Hutcheson Macaulay Posnett
3. Kasper Paniel Morhof
4. Schmidt
5. Moriz Carriere
6. Max Koch

دراسةالخرافات والاساطير والامثال الشعبيه فى بلدان متنوعة من الهند والصين و افريقيه. و قدنوه بالتأثيرات المتبادله بين الآداب. فقد تناول تأثير دانتى الايطالى على الأدب الآلمانى و تأثير لسنج[1] الآلمانى على روبرت بيرنز[2] كبير شعراء اسكتلنده. (الخطيب، ۱۹۹۹م.: ۱۰۰)

ايـــطاليا: امـــا فـــى ايـــطاليا لم يكـــن للأدب المـــقارن حـــظ وافـــر، و ذلک لتطرف النزعة الايطاليه القومية هـناک، و اغـلاق النـوافـذ عـلى الأدب الاجـنبى، ولكـن بعد الوحدة الايطالية، بدأ الايطاليون يوجهون انظارهم الى اوروبا والعالم. و يعود الفضل الى وزير المعارف فـرانسـيسكو دوسـانكتيس[3] الذى اهـتم عـام ۱۸۶۱م. الى انشـاء كـرسى للتاريخ الادبى المقارن فى جامعة نابولى، و كان اول من شغل هذا الكرسى جرج هروج[4] و خلفه دوسانكتيس.

الولايات المتحدة الامريكيه: اما البـحث عـن الأدب المـقارن فـى الولايـات المـتحدة، يمكن القول حوله بان امريكا لم تلتفت اليه الا فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، و يبدو من ذلک ان اول من ادخل مادة الأدب المـقارن فـى الجـامعات الامـريكيه هـو «تشـارلز تشونسى شاكفورد»[5] والذى شغل كـرسى الأدب فـى جـامعة كـورنيل. و مـن ثـم شـغل هذا الكرسى الاستاذ تشارلز جيلى[6] فى جامعة مشيغن[7]. و اول من بدأ بتدريس هذا الأدب فى جامعة هارفرد، هو الاستاذ آرثر رتشموند مارش[8] والذى قـام بـتقديم اربـعة مـقررات دراسية.

و يمكن القول: بان دراسة الأدب المقارن فى امريكا فى العشرينات من هذا القرن كانت مختلطه فى الاذهان بدراسة الأدب العام، او الانسانيات.

ولكن بعد مضى سنين، انفردو استقل الأدب المقارن بموضوعاته. و فى سنة ۱۹۴۹م. ظهر اول عدد من مجلة «الادب المقارن»[9]، والتى كانت تصدرها جامعة اوريغون[10]. بالتعاون

---

1. Lessing
2. Robert Burns
3. Desanctis
4. Herweg
5. Charles Chauncy Shackford
6. Charles-Geyley
7. Michigan
8. Artur Richmond Marsh
9. *Comparative Literature*
10. Oregon

مع قسم الأدب الأدب المقارن، و اصبح دراسة هذا الأدب عاماً فی اکثر جامعات امـریکا، کجامعة شمال کارولینا و جامعة اندیانا[1].

و قد الفت کتب کثیره حول هذا الأدب، و من تلک الکتب کتاب هام للاستاذ فردریک فی الأدب المقارن و نشرت کتب و مجلات متنوعة حول هذا الموضوع الادبی، و تشکلت رابطة قویه ادبیه سمیت بهذا الاسم:

"International Comparative Literature Association".

و فی سنة ١٩٦١م. ظهرت اول مجموعة من المقالات الخاصه فی الأدب المقارن سنة ١٩٧١م. جمعها کتاب واحد تحت عنوان الأدب المقارن، منهجه و آفاقه[2].

الأدب المقارن و عصر النهضه الأدبیة فی البلدان العربیه

لقد بدأت النهضة الأدبیه العربیه، تکنولوجیه و علمیة فی العصر الحدیث. و من المعروف ان رفاعة الطهطاوی کان اول مترجم و اول رائد للنهضه الأدبیه الحـدیثه. و قـد ذهب الی فرنسا موافقاً للبعثات العلمیه، و کان یـعد کـتابه (تـخلیص الابـریز فـی تـلخیص بـاریز) اللبنه الاولی فی فکرة المقارنه بین الشرق والغرب، و کان لروادالنهضه فی الشام اثر کبیر فی اهتمام عرب القرن التاسع عشر بالتفاعل الادبی مع الغرب، و من هؤلاء الرواد فی تلک البرهة (علی مبارک و ادیب اسحاق و احمد فارس الشدیاق).

و من یتامل مواقف هؤلاء الرواد، یلاحظ ان فکرة المـقارنه کـانت راسـخه فـی اصـل موقفهم، فمنهم ادیب اسـحاق الذی کـان مـن ابـرز الرواد سـنة ١٨٥٥ـ١٨٨٦م. و کـان یستعین بآراء الادباء العرب القدامی و یستند کثیراً الی آراء ابن خلدون بهذا الصدد. و حینما تعرض لمحاولة فهم الاسلوب و علاقته بالکتاب، تأثر تأثیراً جلیا بآراء النقاد الفرنسیین التی کانت شائقة فی عصره، کآراء بیفون[3] و غوستاف لارومیه[4] وغیرهم ممن کـانوا یـؤکدون

---

1. Indiana
2. *Comparative Literatue, Method and Perspective*
3. Buffon
4. Gustave Larroumet

ان‌الاسلوب هوالاساس، و فی‌الاسلوب و جمال‌السبک، الاولیه للصیاغة فی‌المفاهیم. (دیاب، ۱۹۶۸م.: ۲۲ـ۱۸)

و من‌الروادالآخرین احمد فارس‌الشدیاق الذی اتصل مبکراً بالشعرالاوروبی، و کان یؤکد فی شعرالمدیح بأنه لامناسبة بین‌الشعرالعربی والشعرالغربی، لانه قد وضح ذلک بان شعراءالعرب کانوا یقدمون شعرالمدیح لملوکهم کی ینالوا من عطایاهم، بینما کان ملوک‌الفرنجه لایجیزون‌الشعر ولایکافئون‌الشاعر، بل و انهم یأنفون من ان یمدحهم شاعر یرید نوالهم. (نفس‌المصدر، ص ۲۶ـ۲۳)

و من‌الروادالآخرین، سلیمان‌البستانی و احمدشوقی؛ و کل منهما کان یقارن بین‌الأدب‌العربی والغربی فی مواضع متفاوته، کالمقاربه بین‌الملحمةالیونانیه والشعرالعربی‌القصصی. و قد بین‌البستانی عدم وجود ای ملحمة عربیه الاوقائع حرب‌البسوس التی قد توحی بانها باکورةالملحمة: ولکن وحدةالصوت کانت فیها والالیاذه، و هو وجه‌التشابه بینهما بطریقه خاصة، و علی ان‌العرب قد نظموا‌الملاحم علی طریقتهم‌الخاصة. و قد وجه نظره ایضاً الی‌الملاحم‌العربیه‌القصیره، و وضح اوجه‌التلاقی بینها و بین ملاحم‌الافرنج و اوجه‌الخلاف والاختلاف فی وضوح ذهنی رائع. (البستانی، د. ت.: ۴۷۵)

اما فی مجال‌البحث عن احمد شوقی نری بانه قد تأثر بالأدب‌الغربی، و علی‌الخصوص‌الأدب‌الفرنسی، و مما کان یقول فی مجلده‌الاول للشوقیات: «انی طلبت‌العلم فی اوروبا، فوجدت فیها نورالسبیل من اول یوم، و علمت انی مسؤول عن تلک‌الهبة التی یؤتیهاالله، و انی لأودی شکرها حتی اشاطرالناس خیراتها.» (شوقی، ۱۹۸۶م.: ۸۰)

والشاعر یبین و یوضح نواحی‌التجدید فی شعره و فی ایام شبابه بهذه‌التصاویرالأدبیه، للمقارنه فی هذه‌المواضیع:

الف‌ـ تجدیدالمعانی والاسالیب فی‌الشعرالعربی‌المعاصر والشعرالغربی؛

ب‌ـ ادخال‌الشعرالمسرحی فی‌الشعرالعربی و اقتباسه من‌الشعرالغربی؛

ج- نظم‌الشعر للاطفال متأثرا من شعر لافونتين‌الفرنسی؛

د- الاسهام فی تطویرالذوق‌الأدبی عندالجمهور و من ذلک حرص شوقی علی تقدیم ترجمه لقصیدة (البحیره) للشاعرالفرنسی (لامارتین). (شوقی، ۱۹۸۶م.: ۷؛ الخالدی، ۱۹۱۲م.: ۲۲)

التأثیر والتأثر فی‌الأدب‌المقارن

مهما یکن من امر فان‌الاساس‌النظری لدراسات‌التأثیر قد تداعی نتیجه ما وجه الیه من نقد، فالنزعة‌التاریخیه التی بلغت ذروتها فی‌القرن‌التاسع‌عشر قد انحسرت و افل نجم‌الفلسفه‌الوضعیه. و هکذا اتضح ان کتابة تاریخ‌الادب‌القومی مسألة تنطوی علی اشکالیه کبیرة، و ذلک لاسباب عدیده منها ان مفهوم‌الادب‌القومی مفهوم اشکالی و خلافی. فاذن ما هوالأدب‌القومی؟ أهو مجموع ما کتب بلغة واحدة من اعمال ادبیة؟ لکن هناک کیانات قومیه متعددة تکتب بلغة واحدة کالانکلیزیه والفرنسیه والاسبانیه. فاذن هل تشکل آداب کل من ایرلندا ادباً قومیاً واحداً؟ و هل تشکل آداب فرنسا والکانتون‌الناطق بالفرنسیه و مقاطعة کوبیک‌الکندیه و بعض‌الاقطارالافریقیه‌الناطقه بالفرنسیه ادباً قومیاً واحداً؟ و هل یمکن اعتبار آداب اسبانیا و معظم اقطار أمریکاالجنوبیه ادبیاً قومیاً واحداً؟

لقد ظهرت هناک اتجاهات و مناهج نقدیه جدیده، کالنظریه‌المادیه للأدب والبنیویه والنقدیه‌الجدیدة و نظریة‌التلقی والتناص والاتجاهات التی تعارضت مواقعهاالفکریه مع منطلقات‌الأدب‌المقارن‌التقلیدی. (جفرسون و دیفیدروبی، ۱۹۹۲م.: ۳۲-۲۵)

من جهة اخری نری ان‌العالم‌العربی لم‌یتأثر کثیراً بتلک‌التطورات التی حدثت فی‌الغرب، بل و نری ان دراسات‌التأثیر والتأثرالعربیه شهدت فی هذاالزمن عصرهاالذهبی، حیث یمکن‌القول ان معظم ما انتجه‌المقارنون‌العرب من دراسات مقارنه تطبیقیه تدخل فی باب دراسات‌التأثیر. (عبود، ۱۹۹۲م.: ۴۵۵)

فلذلک نقول: لماذا لم‌یتماش‌الأدب‌المقارن فی‌العالم‌العربی مع‌التوجه‌العلمی

الی‌الاقلاع عن دراسات‌التأثیر؟ و لماذا ازدهرت دراسات‌التأثیرالعربیه فی‌الوقت‌الذی تکادفیه تختفی فی‌العالم باسره حتی فی فرنسا، بلدالمنشأ.

فهناک اسباب عدیده لهذه‌الظاهرة منها:

اولاً: ان هذاالنوع من‌الدراسات هو اسهل‌منهجیاً و تطبیقاً، فهو یتمثل فی جمع‌المادة‌التاریخیه التی تدل علی وجود علاقة‌التأثیر والتأثر بین ادب قومی ما و ادب قومی اخر او آداب قومیه اخری. و من جهة أخری فان دراسات‌التأثر یمکن ان توظف بسهولة فی‌النقاشات والمعارک‌الادبیه والنقدیه‌الدائرة فی‌الوطن‌العربی حول قضایا ادبیه، کقضیة‌الاصالة والتقلید والمثاقفه فی‌الادب‌العربی‌الحدیث.

ثانیاً: ان استبدال دراسات‌التأثیر من دراسات‌المقارنه هو یعتمد نظریا علی‌المناهج‌النقدیه‌الحدیثه والمعاصره، کنظریه‌الأدب‌الجدلیه. فهو یتطلب استیعاب تلک‌المناهج استیعابا وافیا من جهة و تطویرالقدرة علی استخدامها تطبیقیاً فی‌الدراسات‌الأدبیه‌المقارنه من جهة اخری. (عبود، ۱۹۹۵الف: ۲۲۰)

فهناک اذن تأخر و تقصیر فی استیعاب‌المناهج والاتجاهات‌الجدیدة فی‌الأدب‌المقارن‌العالمی، و ذلک فی سیاق‌التقصیر والتأخرالحاصلین فی استیعاب‌الفکرالنقدی‌العالمی بصورة عامة، و قصور فی استخدام تلک‌المناهبح بصورة تطبیقیه فی‌الدراسات‌المقارنه‌العربیه. و علی آیه حال فان دراسات‌التأثیرالعربیه تعیش حالیاً فترة ازدهار. و قد ظهر علی هذاالصعید اتجاهان هما:

۱. اتجاه یرکز علی تأثیرالأدب‌العربی والثقافه‌العربیه علی‌الآداب‌الشرقیه و تأثره بها، و فی مقدمته ادبان هما: الأدب‌الفارسی والأدب‌الترکی: اماالاتجاه‌الثانی فهو یرکز علی تأثرالادب‌العربی بالآداب‌الشرقیه والاسلامیه، ای علاقة‌الأدب‌العربی بالآداب‌الشرقیه والاسلامیة. فالأدب‌الفارسی قد حظی بالقسط‌الاعظم من اهتمام‌الباحثین و جهودهم، فهو قد بحث حول تأثرالأدب‌العربی‌القدیم بالثقافه‌الفارسیه، و تأثرالأدب‌الفارسی بالادب‌العربی والثقافه‌العربیه عموماً. و من ابرزالمواضیع التی بحثت حولهاالدراسات‌المقارنه، موضوع «لیلی و مجنون» فی‌الادبین‌الفارسی والعربی. (هلال،

۱۹۸۰م.: ۵۲-۴۰)

اماالمحورالآخر لدراساتالتأثير والتأثرالعربيه، هو علاقةالادبالعربى بالآداب‌الاوروبيه اى تأثره بها و تأثيره فيها. و قد برزت على هذاالصعيد مواضع استاثرت باهتمام‌الباحثين و جهودهم. فعلى صعيد تأثرالآداب‌الاوروبيه بالأدب‌العربى و بالثقافه‌الاسلاميه قد حظى موضوع‌المصادرالعربيه والاسلاميه فى‌الكوميديا‌الالهيه لدانتى[1] باهتمام كبير من جانب‌المقارنين‌العرب. (فضل، ۱۹۸۵م.: ۹۸)

و كانت رسالةالغفران لابى‌العلاءالمعرى و قصةالاسراء والمعراج اهم‌المصادر التى سعى‌المقارنون‌العرب لاثبات تأثير دانتى بها. فقد صورت دراسات عديده حول هذاالموضوع مما جعل منه مركز استقطاب لبحوث‌التأثيرالعربيه. (اسعدغالى، ۱۹۸۵م.: ۳۵-۲۵)

فلاشک ان لدراسات‌التأثيرالعربية دوافع معرفيه و علميه، ولكن من‌الواضح ان تكون لها دوافع ايديولوجية، تتلخص فى‌السعى لدحض فكرةالتفوق‌الأدبى والثقافى‌الاوروبى، و ذلک باظهار فضل‌العرب على‌الاوروبين، و ان شمس‌الأدب‌العربى تسطع على‌الغرب، ليس علمياً و فلسفياً و حسب، بل ادبياً و تاريخياً. (هونكه، ۱۹۸۶م.: ۷۵)

هذا عن‌الدراسات‌المقارنه‌المتعلقه بتأثيرالأدب‌العربى فى‌الآداب‌الاوروبيه: فماذا عن‌الدراسات التى تتخذ من تأثرالآداب‌العربى بالآداب‌الاوروبيه؟ ان هذه‌الدراسات كثيره، و ذلک على خلفيه ان تاريخ‌الأدب‌العربى‌الحديث هو فى جزء كبير منه تاريخ تأثره‌الابداعى بالآداب‌الاوروبيه. فقد تمخضت‌المثاقفه التى نشأت بين‌العرب و اوروبا، و لم‌تزل مستمره منذ اواسط‌القرن‌التاسع‌عشر عن تحولات جذريه فى‌الأدب‌العربى، سواء من ناحية‌الاجناس‌الادبية اوالاتجاهات‌الفنيه والفكريه. فعلى صعيدالاجناس‌الأدبية ظهرت فى‌الأدب‌العربى اجناس لم‌تكن موجوده فيه قبل ذلک، كالمسرحية والروايه والقصة‌القصيره والاقصوصه والقصة‌الشعريه. و على‌الصعيدالفنى انتشرت فى‌الأدب‌العربى تيارات ادبيه اوروبيه‌الاصل كالرومانسيه والبرناسيه والواقعيه والاشتراكيه والسريالية

---

1. Dante

والرمـــزیه. و قـــد صـــدرت بـالفعل ابـحاث و دراسـات عـدیده مـقارنه حـول دورالتأثـر بـــالروایـــهالاوروبـیه فـی نشـوءالروایـهالعـربیه و تـطورها فـی نشـوءالمسـرحـیه و فـی تطورالشعرالحدیث. (ایت‌حمودی، ۱۹۸۶م.: ۸۸)

النقدالأدبی و اتجاهاته فی‌الأدب‌المقارن

هـــل اقـتصر تـفاعل‌الأدب‌المـقارن مـع‌الاتـجاهات‌النـقدیه؟ الم‌یـتفاعل مـع‌المـناهج والاتجاهات‌الحدیثه والمعاصرةالاخری؟ کالنظریه‌السـیمیائیه[1] والبـنیویه والتـفکیکیة و نظریةالتناص؟ فلاشک ان ساحةالأدب‌المقارن کانت مفتوحة علی‌الاتجاهات‌النقدیه ـ و قـــد تـــفاعلت مـــعها بـــصورة مســـتمرة مـــما ادی ذلک الی نشـــوء مـدارس جـدیده فی‌الأدب‌المقارن. فنظریةالتناص[2] علی سبیل‌المثال یمکن ان تکـون مـفیده بـالنسبه للدراسات‌المقارنه، و ذلک لان علاقات‌التناص لاتنشأ بین اعمال ادبیه تنتمی الی ادب قومی معین، بل تتخطی الی آداب و ثقافات متعدده. و لذا کان من‌الممکن اجراء دراسات مقارنه انطلاقاً من نظریه‌التناص حول هذه‌الظاهره التی تنتمی الی آداب مختلفه، و ان شکلت تلک‌الدراسات میداناً جدیداً من میادین‌الأدب‌المقارن والشیئی نفسه، یمکن ان یقال حوله عن علاقةالأدب‌المقارن بالسیمیائیه او لیس هناک من‌الناحیه‌النظریه مایمنع من‌القیام بدراسات ادبیه مقارنه، انطلاقاً من هذاالمنهج. و هذا ینطبق علی‌الاتـجاهات والمـــناهج‌النـــقدیه‌المـعاصرةالاخـــری، فـالأدب‌المـقارن مـطالب بـاستیعاب‌المـناهج والاتجاهات‌النقدیه‌الجدیدة و معرفة انعکاساتها علی حـقلهاالمـعرفی. امـاالخـطر الذی یمکن ان یحدق بالأدب‌المقارن هو انغلاق‌الابواب علی نفسه والتـجاهل بـما یسـتجد فی‌الساحةالنقدیه من تطورات، و عندئذ یحرم هذاالادب نفسه من فرض‌التجدد والتطور، و مـــن ثـم یـبتلی بـحالةالجـمود. و عـلینا ان نـقول بـان‌العـصرالذی یـعیش فـیه هـو عصرالتحولات‌السریعة، لیس فی‌الصناعة والعلوم‌المتنوعه بل فی‌العلوم‌الانسانیه ایـضاً و مـــنها عـــلم‌الأدب والأدب‌المـقارن. فـلذلک لایـجوز ان یـقتصر هـذاالتـصور

---

1. semiotik
2. inter-textualitaet

عـــلى الجـــوانب النـــظريه، بـــل مـــن الضـــرورى ان يشـــتمل الجـــوانب التـــطبيقيه. ان العلاقات الأدبيه الدوليه لم تكن فى يوم من الايام اكثف مما هى اليوم، و لذا فان الحاجه الى الأدب المقارن لم تكن فى يوم من الايام اكبر، و آفاق هذا العلم لم تكن ارحب مما هى عليه اليوم: الا ان الاستفاده من الفـرص المـهياة للأدب المـقارن تـتوقف عـلى المـقارنين انفسهم فبيدهم ان يستفيدوا منها بشكل مقبول و ان يضمنوا للأدب المقارن مكاناً مركزياً فى الدراسات الادبيه، و بيدهم ايضاً ان يفوتوا الفرص المتاحة، فيكون مصير الأدب المقارن مـــزيداً مـــن الجـــمود والركـــود، والعـــلم الذى لا يـواكب عـصره ولا يـقدم اجـابات عـن اسئلته المستجده يكون مصيره الزوال.

النتيجه

لدراسة الأدب المقارن اهمية كبرى فـى المـجال القـومى والعـالمى، فـفى المـجال القـومى يؤدى الاطلاع على آداب اجنبيه، و مقارنتها بالأدب القومى الى التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومى. و كثيراً مما يؤدى التعصب والغرور الى عزلة اللغة والادب القومى مـن تـيارات الفكـــر والثـــقافه التـــى تســـاعد عـــلى اثـــراء ادب مـــن الآداب. فـمثلاً نـرى ان الادب الانكليزى كـان بـحكم الكـبرياء قـد عـزل نـفسه عـن الآداب العـالميه، تـوهماً من الادباء الانكليز ان ما عندهم افضل من الاخرين، و ظلوا كذلك حـتى غـزتهم اخـيراً التيارات الامريكيه فى الحضارة والأدب. فاثرت فى لغتهم بل فى نظام حياتهم الاجتماعيه، و لم يستطع الانكليز ان يقاوموا، و اهتزت لغتهم هزة عنيفه امام المفردات واللغات الحديثه التى وردت من الأدب الامريكى. و يرى غيفورد فى هذه المواجهه بين الأدبين فائدةً و خيراً. فهى اولا تزود القارىء الانكليزى بافكار و اتجاهات جديده، و هو يعيش فى عزلته السابقه فى وهم الاكتفاء اللذاتى، و من فوائده الاخرى انها تعين فى الدراس دربه خاصة على تمييز ما هو قوى اصيل و ما هو اجنبى دخيل من تيارات الفكر والثقافه.

و يستطيع الباحث اذا وصل الى هذه الدرجه ان يلتقط اصداء اديب من الأدباء فى ادب اديب اخر، و بقدرته ان يميز التيارات و لو كانت خفيه، والظلال مهما تكن باهته تتسلل من

ادیب سابق الی ادیب لاحق (الأدب المقارن[1]، ۱۹۶۹م.: ۱۰۵-۹۸). و فی قدرة هذاالخبیرالمدرب ان یکشف الاتجاه السائد فی ادب الأدیب والنبرة البارزه فیه والمزاج الذی یتحکم فی توجیهه، و یوصل الاخیر الی مثل هذه النتائج بعد مقارنات طویله و دراسات واسعه والاطلاع علی کثیر من النماذج الأدبیة فی مختلف الآداب، و هو یمعن النظر فی الالفاظ التی یستخدمها الأدیب ما یکثر و ما یندر فی الجمله و طریقة ترکیبها فی الحذف والتکرار والایجاز والاطالة، و ایراد الالفاظ بعینها تحمل بعض الالفاظ معانی خاصة و تستخدم فی احدی البیئات و لاتستعمل فی غیرها لاجل التحمس فی بعض القضایا والنزعات والمفاهیم و اهمال ماعداها (ندا، ۱۹۹۲م.: ۲۷).

المراجع

البستانی. د. ت. دائرة المعارف. ج ۱۰. طهران.

ـــــــــ . ۱۹۹۲م. المنجد. بیروت: دارالفکر.

تیبغم، پول فان. ۱۹۳۱م. الادب المقارن. ترجمة سامی مصباح الحسامی. بیروت.

جفرسون و دیفیدروبی. ۱۹۹۲م. النظریة الادبیة الحدیثه. ترجمه سمیر مسعود. دمشق: دار نشر وزارة الثقافة.

الخطیب، حسام. ۱۹۹۹م. آفاق الأدب المقارن، عربیاً و عالمیاً. دمشق: دارالفکر.

ـــــــــ . ۱۹۷۵م. محاضرات فی تطور الأدب الاوروبی. جامعة دمشق.

الخالدی، روحی. ۱۹۱۲م. تاریخ علم الأدب عند الافرنج والعرب و فیکتور هوکو. القاهرة: دارالهلال.

جمال الدین، محمد السعید. ۱۹۸۹م. الادب المقارن، دراسات تطبیقیه فی الادبین العربی والفارسی. القاهرة: دارثابت.

درویش، احمد. ۱۹۹۲م. الادب المقارن، النظریه والتطبیق. القاهرة: دارالثقافة العربیه.

دیاب، عبدالحی. ۱۹۶۸م. التراث النقدی قبل مدرسة الجیل الجدید. القاهرة: وزارة الثقافه.

اسعدغالی، الیاس. ۱۹۸۵م. رسالة الغفران والکومیدیا الالهیه فی لمحة تاریخیه. دمشق: منشورات

---

1. Comparative Literature

اتحادالکتاب العرب.

السید العراقی. ۱۹۸۵م. الأدب المقارن منهجاً و تطبیقاً. بیروت: دارالفکرالعربی.

شوقی، احمد. ۱۹۸۶ م. الشوقیات. ج ۱. دمشق: دارالکتاب العربی.

صالح، فخری. ۱۹۹۴م. الموزات الاجنبیه فی الشعرالعربی المعاصر. بیروت.

عبود، عبده. ۱۹۹۲م. الأدب المقارن، مدخل نظری. حمص: منشورات جامعةالبعث.

ـــــــــــــ . ۱۹۹۵الف. دراسات فی الترجمه الادبیة والتبادل الثقافی. دمشق: دار نشر اتحادالکتاب العرب.

ـــــــــــــ . ۱۹۹۵ب. هجرة النصوص. دمشق: منشورات اتحادالکتاب العرب.

فضل، صلاح. ۱۹۸۵م. تأثیر الثقافة الاسلامیة فی الکومیدیا الالهیه لدانتی. بیروت: دارالآفاق الجدیده.

کفافی، عبدالسلام. ۱۹۹۴م. فی الأدب المقارن، دراسات فی نظریه الأدب. بیروت.

ندا، طه. ۱۹۹۲م. الأدب المقارن. بیروت: دارالنهضه.

ولک، رینیه. ۱۹۸۷م. الأدب المقارن، اسمه و طبیعته. ترجمة محمود محمدعصفور. الکویت.

هلال، محمدغنیمی. ۱۹۸۰م. لیلی و مجنون فی الادبین العربی والفارسی. بیروت: دارالعودة.

ـــــــــــــ . ۱۹۸۷م. الأدب المقارن. بیروت: دارالعوده.

هونکه، زیغرفید. ۱۹۸۶م. شمس العرب تسطع علی الغرب. ترجمه فاروق بیضون و کمال الدسوقی. ط ۸. بیروت: دارالآفاق.

Gifford, Henry. 1969. *Comparative Literature.* London: Routledge and Kegan Paul.

Prawer, S. S. 1973. *Comparative Literary, Studies and Interoduction.* London.

Comparative Criticism, a yearbook, vol. 1, Cambridge University, 1968.